بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام علىٰ معلِّم الناس الخير ، وهادي البشرية إلىٰ نور الحق المبين ، والصراط المستقيم ، خاتم الأنبياء محمد ﷺ . ورضي الله عن آل بيت رسول الله والصحابة الكرام ، وعلىٰ كل من سار علىٰ الدرب إلىٰ يوم الدين ، وبعد :

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

أجل !

إنه الفضل والمنّة من الله علىٰ المؤمنين إذ أرسل إليهم رسولاً منهم ، يحمل إليهم النور ، ليخرجهم من التيه والظلمات ، فما هو الواجب عليهم تجاه هذا الرسول ؟!

لابدّ أولاً أن يتعرَّفوا علىٰ هويته وعلىٰ شخصيته .

لذلك حاولنا الوقوف تحت ظلال سيرته الطاهرة ، فالتقطنا بعض الصور الرائعة ، من العهد المكي ، والمدني ، وبعض ما يتعلق بأخلاقياته ، ومن ثمّ بعض ما يجب علىٰ الناس تجاهه ، فكانت المسألة

ليست إلا لحظات خشوع أمام أعظم مخلوقات الله محمد عليه الصلاة والسلام .

وبكل صراحة ، فالمسألة ليست سهلة أبداً ، ذلك لأن الدخول إلىٰ عالم رسول الله ، يملأ الإنسان بالخوف أولاً ، لكن الولوج أكثر يعطي الإنسان المذاق الحلو والجميل . . . . !!

والواقع المعروف ، أن الخَلْقَ جميعاً مستويات أو لِنَقُلْ مقامات ، فهذا غنيّ وذاك فقير ، وهذا قويّ وذاك ضعيف ، وهذا مسؤول وذاك عادي ، وهكذا .

لكن الرسول ﷺ ـ وهو الذي صنعه الله علىٰ عينه ـ وصل إلىٰ أرفع المستويات ، دليل ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

لكن كيف الدخول إلىٰ عالم أنواره وأسراره صلوات الله عليه ؟!

إن القضية تشبه الدخول في عالم يؤدي إلىٰ الاحتراق ، ليصبح حالنا بعد قليل كحال الفراشة التي تحوم حول النار!! تحوم وتكاد تحترق ، لكن اللذّة تأتي من خلال الاحتراق أكثر فأكثر .

لذلك رحنا نحوم حوله شيئاً فشيئاً ، فازددنا احتراقاً . . . فازددنا شوقاً إلىٰ مزيد من الاحتراق بأنواره ﷺ .

تارة كنا نعي كل المشاهد ، وتارة كنا فيما يشبه الغيبوبة ، فما وعيناه من تلكم المشاهد سجلناه في هذه الظلال ، لكن ضاع منا الكثير الكثير ، فالعين العادية لا تدرك الأنوار الساطعة القوية ، لكن حسبنا أننا حاولنا الدخول .

. . . . وهذه اللقطات تشبه الجواهر المتناثرة ، والتي إذا رُبطت بين بعضها بعضٍ كوّنت عقداً لا مثيل له .

أجل!

إنه رسول بشر ، لكنه ليس كالبشر ، بل هو ياقوتة والناس كالحجر ، بشر لكن ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٤] ومن يبلغ مقامات الوحي إلا أنبياء الله ورسله ؟

لذلك لا يعلم أسرار رسول الله إلا الله وحده ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وهذا العمل ليس مدحاً له ، إنما هو لحظات في ظلال سيرته ، وإلا ماذا نمدح ، وماذا يمدح الأدباء والشعراء؟! والحال في ذلك كما تروي كتب التراجم :

رُئي الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله في النوم ، فقيل له : لم مدحت النبيَّ ﷺ ؟ فقال :

أرىٰ كل مدحٍ في النبيِّ مقصِّرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنىٰ بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورىٰ ؟!

نسأل الله تعالىٰ القبول والفتوح ، ونسأله مزيداً من الحب والشوق أكثر ، لنعيش في ظلال سيرة رسوله أكثر وأكثر ، إنه علىٰ ما يشاء قدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *